

زعيم حزب الأمة السوداني يترجل تاركاً ألغازاً سياسية تلاحقه

الصادق المهدي

رقم محير في معادلات الحكومة والمعارضة والقوى الإقليمية



● علاقته الجيدة بالسعودية لم تدفعه لتبني مواقف سياسية معتدلة في القضايا الإقليمية التي تعد الرياض شريكاً أساسياً فيها وتمثل أهمية مصيرية، وفي الوقت الذي يعتبر فيه البعض ذلك ميزة للمهدي، رأى آخرون "انتهازية سياسية".



● المهدي يجمع في شخصيته توليفة سياسية نادرة، أدت به إلى أن يكون قريباً، وبعيداً في الوقت نفسه، من قوى حزبية مختلفة ومتناقضة، فخاض معارك سياسية ضد نظام البشير، ولم يمانع من القبول بالتحالف معه أحياناً.

انتقادات حادة لتحالف قوى الحرية والتغيير، وجمد نشاط حزب ثم عاد إليه ومعه قائمة من الشروط، وأفضت بعض الارتباكات التي ظهرت على تقديرته إلى أن يكون قريباً من غالبية القوى، من دون التعويل عليه كثيراً في الحكم، وهو في سن متقدمة.

تسارعت وتيرة التحركات داخل قوى الثورة بصورة بعيدة عن طموحات وأحلام المهدي، ولم يستطع أن يقدم نفسه خيار لتلف عليه وحوله القوى الوطنية، فهو من ميراث الماضي بكل مراراته السياسية، ومحركو الثورة من الشباب الذين انقلبوا على البشير ومن كانوا معه أو على هامش سلطته التي تغولت وقت أن وجدت المعارضة مفككة، وسمح بعض قياداتها بتلاعب حزب المؤتمر الوطني الحاكم بها.

أدى حرصه على أن يكون محورياً رئيسياً في حزب الأمة إلى أن تعصف به الانقسامات التي حولته إلى كيانات تابعة لأشخاص، ما قلل من حظوظه في الحلبة السياسية إبان عهد البشير، وبعد سقوطه، وحاول المهدي عدم الوقوف عند هذه اللحظة، لكن لسان حال الشباب يقول، إذا كان الرجل لم يتمكن من أن يجمع شتات حزب سياسي، فكيف يستطيع جمع شتات شعب متفرق بين قوى مختلفة؟

حافظ الرجل على تقدير النخبة لتاريخه الطويل، لكنه أخفق في اقناع شباب الثورة بأنه قريب منهم بما يكفي، ولذلك جاءت غالبية مواقفه بعد سقوط البشير قريبة من الأفكار النظرية التي يمكن قراءتها في المراجع السياسية، وربما يكون هذا الثبات أو الجمود جنياً على مسيرة الصادق المهدي، لأنه لم يبق بمراجعة هيكلية حقيقية لكثير من أفكاره، على الرغم من أن التجارب العملية أثبتت صعوبة تطبيقها.

ولم تفلح دراسته في أرقى الجامعات البريطانية في أن تجعله يتخلل عن الكثير من الميراث الديني الذي تشبع به منذ الصغر، واستمر معه حتى وفاته، لذلك كلما حاول الإيحاء بعدم تمكن الانتماء الديني من أفكاره، جاءت مواقفه اللينة من دولة مثل إيران أو تركيا، أو حتى جماعة الإخوان، لتفضحه وتؤكد أن هواه السياسي على مدار تاريخه بقي منحازاً للتيار الإسلامي.



الوفرة المعرفية والثقافية والتجارب الخيرات المتعددة، عوامل منحت المهدي فرصة ليكون حاضراً في كثير من المنتديات الإقليمية والدولية، ساعدته على تعزيز وجوده في قلب الحياة السياسية في السودان، ووفرت له ظهيرا فكريا وشعبيا يدافع عنه

نظام البشير بعد أن أفصح عن توجهاته الإسلامية، ولم تقم الخرطوم بتقليم أظافر طهران السياسية والثقافية سوى بعد أن وضعت علاقتها مع الرياض على المحك، وبعدها قرر البشير تصفية جزء معتبر من البؤر الإيرانية العاملة في السودان.

التزم المهدي بجانب كبير من المرونة، وامتلك مروحة سياسية واسعة، أبقته عنصراً مهماً في غالبية التطورات التي مر بها السودان، وجعلته منفجاً على قوى متباينة، وحاول التخفيف من ترسيخ انطباعات بالازدواجية بين أفكاره ومواقفه، من خلال ما كان يتمتع به من قدرة فائقة على التخليق السياسي، ومنحته الوفرة المعرفية والثقافية والتجارب الخيرات المتعددة، فرصة ليكون حاضراً في كثير من المنتديات الإقليمية والدولية، وهي ميزة ساعدته على تعزيز وجوده في قلب الحياة السياسية في السودان، ووفرت له ظهيرا فكريا وشعبيا يدافع عنه، وأبعدته كثيرا عن يد البطش التي عرف بها النظام السوداني في عهد البشير.

تحريك الشارع

لعب المهدي دوراً لا ينكره أحد في التمهيد لتحريك الشارع السوداني من خلال اقترابه من القوى التي حركت الثورة ضد نظام البشير، ولذلك كان في قلبها، ووجدتها فرصة ليختم حياته السياسية وهو في قمة السلطة، باعتباره الحاكم الضرورية، عندما اشتدت الخلافات بين القوى المدنية والعسكرية، ومالت مواقفها كثيرا نحو الجيش، ووجه

وقوف الخرطوم في مواجهة الحوثيين المدعومين من طهران.

وأذاعت قناة "الإخبارية" السعودية في ذلك الوقت، تقريراً نقلاً عن مصادر ثقافية بالخرطوم، ولاحقه اتهام بأنه أول من مهد الطريق لفتح المراكز الثقافية الإيرانية في السودان. لم تتغير كثيراً مواقف المهدي من إيران على مدار تاريخه، ويبدو أن ميوله الدينية التاريخية المتجذرة العلاقات مع طهران، وانتشاً لها أول مركز ثقافي بالخرطوم، ولاحقه اتهام بأنه أول من مهد الطريق لفتح المراكز الثقافية الإيرانية في السودان.

لم تتغير كثيراً مواقف المهدي من إيران على مدار تاريخه، ويبدو أن ميوله الدينية التاريخية المتجذرة العلاقات مع طهران، وانتشاً لها أول مركز ثقافي بالخرطوم، ولاحقه اتهام بأنه أول من مهد الطريق لفتح المراكز الثقافية الإيرانية في السودان.

لم تتغير كثيراً مواقف المهدي من إيران على مدار تاريخه، ويبدو أن ميوله الدينية التاريخية المتجذرة العلاقات مع طهران، وانتشاً لها أول مركز ثقافي بالخرطوم، ولاحقه اتهام بأنه أول من مهد الطريق لفتح المراكز الثقافية الإيرانية في السودان.

لم تتغير كثيراً مواقف المهدي من إيران على مدار تاريخه، ويبدو أن ميوله الدينية التاريخية المتجذرة العلاقات مع طهران، وانتشاً لها أول مركز ثقافي بالخرطوم، ولاحقه اتهام بأنه أول من مهد الطريق لفتح المراكز الثقافية الإيرانية في السودان.

لم تتغير كثيراً مواقف المهدي من إيران على مدار تاريخه، ويبدو أن ميوله الدينية التاريخية المتجذرة العلاقات مع طهران، وانتشاً لها أول مركز ثقافي بالخرطوم، ولاحقه اتهام بأنه أول من مهد الطريق لفتح المراكز الثقافية الإيرانية في السودان.

أعلن حزب الأمة رفضه لهذه الخطوة، وبعد أن اعتلى المهدي رئاسة الحكومة، عقب مضي ثلاثة أعوام من قطعها، أعاد العلاقات مع طهران، وانتشاً لها أول مركز ثقافي بالخرطوم، ولاحقه اتهام بأنه أول من مهد الطريق لفتح المراكز الثقافية الإيرانية في السودان.

لم تتغير كثيراً مواقف المهدي من إيران على مدار تاريخه، ويبدو أن ميوله الدينية التاريخية المتجذرة العلاقات مع طهران، وانتشاً لها أول مركز ثقافي بالخرطوم، ولاحقه اتهام بأنه أول من مهد الطريق لفتح المراكز الثقافية الإيرانية في السودان.

لم تتغير كثيراً مواقف المهدي من إيران على مدار تاريخه، ويبدو أن ميوله الدينية التاريخية المتجذرة العلاقات مع طهران، وانتشاً لها أول مركز ثقافي بالخرطوم، ولاحقه اتهام بأنه أول من مهد الطريق لفتح المراكز الثقافية الإيرانية في السودان.

لم تتغير كثيراً مواقف المهدي من إيران على مدار تاريخه، ويبدو أن ميوله الدينية التاريخية المتجذرة العلاقات مع طهران، وانتشاً لها أول مركز ثقافي بالخرطوم، ولاحقه اتهام بأنه أول من مهد الطريق لفتح المراكز الثقافية الإيرانية في السودان.

لم تتغير كثيراً مواقف المهدي من إيران على مدار تاريخه، ويبدو أن ميوله الدينية التاريخية المتجذرة العلاقات مع طهران، وانتشاً لها أول مركز ثقافي بالخرطوم، ولاحقه اتهام بأنه أول من مهد الطريق لفتح المراكز الثقافية الإيرانية في السودان.

لم تتغير كثيراً مواقف المهدي من إيران على مدار تاريخه، ويبدو أن ميوله الدينية التاريخية المتجذرة العلاقات مع طهران، وانتشاً لها أول مركز ثقافي بالخرطوم، ولاحقه اتهام بأنه أول من مهد الطريق لفتح المراكز الثقافية الإيرانية في السودان.

لم تتغير كثيراً مواقف المهدي من إيران على مدار تاريخه، ويبدو أن ميوله الدينية التاريخية المتجذرة العلاقات مع طهران، وانتشاً لها أول مركز ثقافي بالخرطوم، ولاحقه اتهام بأنه أول من مهد الطريق لفتح المراكز الثقافية الإيرانية في السودان.

لم تتغير كثيراً مواقف المهدي من إيران على مدار تاريخه، ويبدو أن ميوله الدينية التاريخية المتجذرة العلاقات مع طهران، وانتشاً لها أول مركز ثقافي بالخرطوم، ولاحقه اتهام بأنه أول من مهد الطريق لفتح المراكز الثقافية الإيرانية في السودان.

محمد أبو الفضل كاتب مصري

شيع الكثير من السودانيين، الجمعة، جنسان الراحل الصادق المهدي زعيم حزب الأمة القومي، وسط مشاعر رسمية وشعبية حزينة، فالرجل الذي ترجل عن عمر يناهز الخامسة والثمانين عاماً، صاحب كاريزما واضحة، وأحد العلامات البارزة في الحياة السياسية بالسودان على مدار نحو ستة عقود، في الحكم والمعارضة، وهو مقيم في الداخل أو الخارج، حيث جعلته الأفكار التي تشبع بها، وهي غزيرة، محبباً لأصدقائه وخصومه معاً.

جمع المهدي بين توليفة سياسية نادرة، أدت به ليكون قريباً وبعيداً في الوقت نفسه من قوى حزبية مختلفة ومتناقضة، وخاض معارك سياسية ضد نظام عمر البشير، ولم يمانع من القبول بالتحالف معه أحياناً، وقبل أن يكون ابنه اللواء عبدالرحمن القياضي بحزب الأمة، مساعداً للبشير الذي اعتلى السلطة عبر انقلاب عسكري عام 1989، وقت أن كان المهدي الأب رئيساً للوزراء، ولا تقل تحولاته وتصورات الخاريجة عن نظيرتها في الداخل، ولذلك ظل رقماً عصبياً على الفهم لدى البعض، لأن مواقفه وأراءه بدت غامضة للبعض.

ملف إيران الغامض

رحل المهدي وترك خلفه ميراثاً كبيراً من الألغاز السياسية على مستوى توجهاته الخارجية حيال قوى عربية وغير عربية، وهو في الحكم أو المعارضة، فكان مع تفهم خصوصية العلاقة مع مصر وضدها في بعض الأحيان، وهكذا بدأ حاله مع السعودية، بينما بقي قريباً من إيران معظم الأوقات، ولم يرفض خطابها الإيديولوجي، وكانه ينسجم مع الجزء العقائدي في أفكاره التي وضعته في أوقات كثيرة في خندق واحد مع الحركة الإسلامية، وتفرقت السبل بينهما على وتر المنافسة السياسية.

عندما قطع السودان علاقته بإيران عام 1983 وراجت معلومات حول قيام الرئيس جعفر نميري بإرسال قوات إلى العراق لمساندته في حربه ضد إيران،

إيران تبقى ملفاً سرياً وغامضاً في حياة المهدي، فهو في معظم الأوقات، لم يرفض خطابها الإيديولوجي، وكأنه كان ينسجم مع الجزء العقائدي في أفكاره التي وضعته في خندق واحد مع الحركة الإسلامية، بينما فرقت بينه وبينها المنافسة السياسية.